ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

Wisam Muhammad Abboud Al-Rubaiee
Wasit University College of Education for Human Sciences.

*** Corresponding Author Email:**
waboud@uowasit.edu.iq

Keywords:
Epicurus, pre-Islamic poetry, Epicureanism, happiness, wine, women, chivalry, war

---

Article history:
Received: 2024-12-16
Accepted: 2024-12-19
Available online:2025-02-01

Epicureanism in pre-Islamic poetry

A B S T R A C T

There is no doubt that not believing in an afterlife will lead to behaviors that are different from the lifestyle of those who believe in God and the Last Day. This intellectual difference leads to dividing people into different categories, including the followers of Epicurus, whose main concern was to make himself happy as much as possible and to spread love between himself and his followers whose philosophy was similar to his philosophy, which did not believe in resurrection and an afterlife. As a result, Epicurus was in constant pursuit of everything that would give him joy and free him from sadness and pain. The research dealt with the remarkable similarities between the philosophy of a group of poets of the pre-Islamic era and the Epicurean philosophy, focusing on revealing the manifestations of this philosophy in their poetry, which was manifested in raising the status of women and making them one of the causes of moral joy and sensual ecstasy that they cannot do without, and in venerating the status of wine and making it a ladder to happiness and psychological pleasure, and some poets revealing the pillars of their lives and the reasons for their adherence to life and their love of remaining in this world, which was manifested in making wine, women, manhood, and leading armies the most important components of their lives and their adornment. The poets of the Epicurean philosophy lived a life that was concerned with making the soul happy in the present time and ignoring the sorrows of the past and the fear of what would happen to them in the future.

© 2025 wjfh.Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol21.Iss1/Pt1.848

الأبيقورية في الشعر الجاهلي

م.د وسام محمد عبود الربيعي
جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

المُستخلص

ليس من شك في أنَّ عدم الإيمان بحياة ما بعد الموت سوف يؤدي إلى سلوكيات مغايرة لأسلوب حياة مَنْ يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا التباين الفكري يؤدي إلى تقسيم الناس على شيع مختلفة، منها أتباع أبيقور الذي كان شغله الشاغل جمع شتات ثوب السعادة من أطرافه ونشر المحبة بينه وأتباعه الذين تتشاكل فلسفتهم وفلسفته التي لا تؤمن بالبعث وحياة ما بعد الموت؛ وتبعًا لذلك كان أبيقور في سعي دائم وراء كل ما يهبه الغبطة والحُبُور ويخلصه من الشجون والأوجاع.

وقد تناول البحث أوجه التشابه الملحوظ بين فلسفة لفيف من شعراء العصر الجاهلي والفلسفة الأبيقورية مركزًا على الإعراب عن مظاهر هذه الفلسفة في أشعارهم، التي تجلت في إعلاء شأن المرأة وجعلها أحد بواعث الابتهاج المعنوي والانتشاء الحسي التي لا غنى لهم عنها، وإجلال شأن المُدامة وجعلها سلمًا للسعادة والمتعة النفسية، وإفصاح بعض الشعراء عن دعائم حياتهم وأسباب تمسكهم بالحياة وحبهم البقاء على قيدها، التي تجلت في جعل الخمرة والمرأة والفتوة وقيادة الجيوش واسطة عقد مقومات حياتهم وزينتها, وقد عاش شعراء الفِكر الأبيقوري حياةً تهتم بإسعاد النفس في الوقت الحاضر ضاربين صفحا عن أتراح الماضي والخوف مما سينزل بساحتهم في قابل الأيام.

الكلمات المفتاحية: أبيقور, الشعر الجاهلي, الأبيقورية, السعادة, الخمرة, المرأة, الفتوة, الحرب.

المقدمة

اعتدنا في حياتنا اليومية على اطلاق صفات استحسان أو استهجان على العديد من الشخصيات الذائعة الصيت كالأدباء والفلاسفة وغيرهم, فتاره يقوم بعض النقاد بامتداح أحد الأدباء في الوقت الذي يعمد فيه الآخر إلى ذمه والنيل منه, ولم نقرأ في ما اطلعنا عليه من كتب أدبية وفلسفية ما يُشاكل ما تعرضت له فلسفة أبيقور من تجريح وسوء فهم وانتقاص منها ومن صاحبها, الذي نعتوه وفلسفته بأبشع النعوت, وكأنهم أنبياء مرسلون وهو المخطئ المسيء على الرغم من أن أبيقور كان "على مدى حياته فيلسوفاً حكيماً معتدلاً عادلاً, كان وحده بين الفلاسفة الذي كان جميع تلاميذه أصدقاءه وكانت شيعته هي وحدها التي يسودها الحب ولم تنقسم إلى عدة شِيَع أخرى" (طرابيشي, 2006 م, 41)

ولعل من البديهي أن نقول: إنَّ الطبيعة البشرية تحث الإنسان على التزيّي بزي الزهاد وتسربل لباس التقوى حتى لو كان هذا الأمر خلاف ما هو عليه في الحقيقة, أملاً في إبعاد الشبهات عنه وانخراطه في سلك المهتدين؛ نتيجةَ استهجان المجتمع _ ظاهريا _ للعبث والتمتع بجميع الملذات المقبولة شرعا وغير المقبولة؛ إذ إنَّ الناس مجبولون على حب الكلام المَليح الذي يتغنى بالمفاتن ويبوح بمكنونات القلوب التي احتجبت خلف ستار الدين أو المجتمع القابع لها, وخير ما يؤيد ما ذهبنا إليه قول ابن قتيبة " إنّ مقصّد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ... ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدّة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء

الأسماع إليه، لأنّ التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم، حلال أو حرام" (ابن قتيبة, 2011م, 1/ 75 _ 76), ولا نُغالي إذا قلنا إن هذا الكلام غاية في الصواب والموضوعية؛ إذ يُظهر لنا شيء لا يستهان به من الحقيقة ويميط اللثام عمّا سكتت عنه الكثير من الألسن على الرغم من إيمانهم به إيماناً مطلقاً, مؤكدا أنَّ إلف النساء هو شيء فيزيولوجي, يرتبط بتكوين النفس والبدن, وهم أمر خارج عن الاختيار, والكلام نفسه يتشاكل وَنظرة النساء للرجل فكل منهم يُكمِّل الآخر ويُجمّله, فالممدوح نفسه الذي غالباً ما يكون من الطبقة المَلكية المُترفة والمُحاطة بالجواري, يستميله الغزل ويُشعِره بالراحة والدعة, وإن كان هذا الشعور ينتاب المُلوك وسامَّتَهم؛ فما بالك بالسُّوقة والطبقة الكادحة والمُعدمة, وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على أن الناس سواسيه فيما ينتابهم من أحاسيس ونزعات نفسية وحوائج جسدية, والعجب كل العجب من انتقاص بعض النقاد والفلاسفة ونيلهم من فلسفة أبيقور الذي كان "بشوش الوجه طلق المحيا لا تكاد البسمة تفارق ثغره مهما تعاقبت على نفسه الحوادث وتوالت على قلبه معاكسات الأيام, وكان لطيف النقاش, حلو الحديث, عذب النكتة لا يخلو من سمر, فجعلته هذه الخلال محبباً من جميع جلسائه ومعارفه" (عويضة, 1994م, 27), في الوقت الذي يتبدى لنا فيه أن السبب الوحيد الذي يحد من روعة فلسفة أبيقور ومثاليتها؛ هو عدم إيمانه بحياة ما بعد الموت, نظراً إلى قِدم عهده وإيمانه وَمعاصريه بوجود العديد من الآلهة المترفة التي لا تتدخل في حياة الإنسان, سواء أسلبي كان التدخل أم إيجابي.

والحق أنَّ من البديهيات أن يفعل المرء ما يحلو له ويتمتع من الدنيا وزِبرجها, ويُشبِع جميع رغباته محققا ما يقتدر على تحقيقه من أوطاره وأمنياته, إنْ كان غير مؤمن بحياة ما بعد الموت ونعيم الآخرة السرمدي؛ فهو ينظر إلى يومه كما لو كان كنزا يتناقص كل يوم دون أن يعود ما استُلب منه البتة, فهو والحال هذه ضعيف يحاول استغلال الوقت وانتهاب الفرص, أملاً في الظفر بمآربه, وهذا ما كان عليه أبيقور وأتباعه, إذ كانت دوافعهم متساوقة, ورغائبهم متشاكلة, وهذا الأمر يشفع لهم ويُبرّئ ساحتهم من التُّهم الملفقة النابعة من التعصب الذي يمتح من مناهل الجهل الآسنة؛ إذ تحلَّى أبيقور بالعديد من الخلال السمحاء والأخلاق المنيفات, و" أكثر من ذلك كله أنه كان شديد الوفاء لأصدقائه, قوي التعلق بحبهم إلى درجه جعلته يضع الصداقة في أعلى مراتب الحياة حيثُ يقول ما نصه: إنَّ امتلاك الصداقة هو أهم جميع ما تُقدمه إلينا الحكمة من سعادات الحياة بل إن هذه الناحية تفوق النواحي الأخرى بدرجات عظيمة " (عويضة, 1994م, 27), وتبعاً لذلك لم نرَ في أبيقور الفيلسوفَ السلبي الذي لا يمت إلى الفكر السليم بصلة, ولولا ضيق المقام هنا عن التفصيل في هذا الأمر لأطنبنا في الحديث وانتصرنا لأبيقور عن طريق تبيان العديد من حسنات فلسفته.

المرأة الحياة (بين جنة الوصال وجحيم الفراق)

تجدر الإشارة إلى أنَّ هناك أضداد في دنيانا يُظهر بعضُها حُسنَ الآخر أو يُبيّنه ويلفت انتباه الآخرين إليه، كما أنَّ هناك في الوقت نفسه ما يؤنس وحشة الآخر ويجعله ينظر إلى نفسه بعين ملؤها الكِبر والتِّيه كَمَثَلِ المرأة المعشوقة، بيد أنَّ فراق العاشق أنيسة نفسه يجعله كخَاتَم ضاع فَصُّهُ، وهذا التباين بين جنة لُقيا الحبيبة ونار صُدُودها أو نأيها،

هو السبب الرئيس الذي يؤدي إلى شعور الإنسان بالغبطة والطرب أو بالقنوط والابتئاس، فالمرأة المعشوقة هي مَن تتحكم بكفتي ميزان أحاسيس وامقِها، فإنْ شاءت كدَّرت صفو عيشه وإنْ شاءت جعلته يَسْحَبُ أَذْيَالَ الغِبْطَةِ.

ومما يحسن التنبيه إليه أنَّ هذه الفلسفة الأبيقورية ظهر صداها في شعر طائفة مِنْ فحول شعراء الجاهلية الذين كان اهتمامهم منصبًا _في الأغلب_ على العَبِّ من مباهج الحياة والاستمتاع بالمفاتن الجسدية والقضاء على كل مسببات الألم وبواعثه، فضلًا عن نشدان اللذة وابتغاء نيلها والانتشاء بها.

ومِنَ المُفيد التذكير بأنَّ الأبيقوريين كانوا يختارون الفضائل على أساس اللذة وليس للفضائل ذاتها، تمامًا مثلما نتناول الدواء من أجل الصحة (يُنظر: اللائرتي، ٢٠١٤م، ٣٢٢)، وعلى هذا المنهاج سار بعض الشعراء الجاهليين, ولا أدل على ذلك من ما ذهب إليه واسطة عقدهم امرؤ القيس, من إلف النساء والطرب واللهو والتمتع من ملذات الدنيا, عاملا على جمع شتات ثوب السرور من أطرافه والعَبّ من كأس نعيم الدنيا عبّا, جامعًا ما استطاع الظفر به من بواعث الفرح مثلما يحمل الغواص ما اقتدر على حمله من درر, فاسمعه حين يقول: (المصطاوي, 2004م, 158_159) (من الطويل)

دِيَـارٌ لهِـنْـدٍ وَالـرَّبَابِ وَفَـرْتَنى ... لَيَـالِـيَنَا بِالـنَّعْـفِ مِنْ بَدَلانِ
لَيَـالـيَ يَـدْعُوني الهَـوَى فَأُجِيبُهُ ... وَأَعْيُنُ مَنْ أَهْوَى إِليّ رَواني
فَإنْ أُمْسِ مَكْرُوباً فَيَا رُبَّ قَيْنَـةٍ ... مُـنَـعَّـمَـةٍ أَعْمَلْـتُهَا بِكِرَانِ
لهَا مِزْهَرٌ يَعْلُو الخَمِيسَ بِصَوْتِهِ ... أَجَشُّ إِذَا مَا حَرّكَتْهُ اليَدَانِ
....
تَـمَـتَّعْ مِـنَ الـدُّنْـيَا فَـإنّـكَ فَـاني ... مِنَ النَّشَوَاتِ وَالنّسَاءِ الحِسَانِ
مِنَ البِيضِ كالآرَامِ وَالأُدمِ كالدّمى ... حَوَاصِنِهَا وَالمُبرِقَاتِ الرَّوَاني
أَمِــنْ ذِكْــرِ نَـبْـهَـانِـيّـةٍ حَلّ أَهْلُهَا ... بِـجِـزْعِ المَلا عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ
فَدَمْعُـهُـمَا سَـكْبٌ وَسَـحٌّ وَدِيـمَـةٌ ... وَرَشٌّ وَتَــوْكَـافٌ وَتَـنْـهَمِلانِ

ولعل من البديهي أن نقول: إنّ غاية اللذة ومنتهاها لدى امرئ القيس هي العلاقة الحميمة مع الجنس الآخر دون الاكتفاء بامرأة معينة على غرار العذريين فها هو يذكر ثلاث نساء في شطر واحد, وكأنه يرغب في الإيماء إلى أن التعددية والتمتع بكل ما تطيب به النفس هو السعادة المثلى, وهو الخير كله, وهذا ما يتفق وفلسفة أبيقور الذي يقول: " لست أدري حقا كيف يتسنى لي أن أتصور الخير بمعزل عن لذات التذوق, وبمعزل عن متع الجنس ومتع الصوت ومتع الشكل الجميل " (اللائرتي, 2014م, 222).

فضلا عن أن شاعرنا بَيّن فلسفته في الحياة في البيت الذي يقول فيه: تمتع من الدنيا فإنك فاني ... من النشوات والنساء الحسان, فهو يدعو إلى استغلال الوقت وانتهاز الفرص؛ إذ إن كل يوم يمر من عمره هو لؤلؤة سقطت من عقد حياته, ولا يمكن لأي قوة في الوجود أن تعيدها إليه, ونتيجة لذلك عليه أن يتمتع من الدنيا ومن جميع بواعث نشواتها بكل ما أوتي من قدرة على الاستمتاع والالتذاذ, زد على ذلك تبيانه لنا أن أحد أهم بواعث حزنه وشقائه وانسكاب دموعه؛ هو الابتعاد عن النساء وتذكر روعة أيامه التي قضاها متنعماً بالقرب منهن, ونحن هنا لا نلقي

باللوم على امرئ القيس الذي تماثل فكره _ دون اتصال ودراية _ مع الكثير من إسقاطات الفكر الأبيقوري؛ لأن ما تراه بعض الأديان من كبائر الذنوب يراه امرؤ القيس الذي لم يؤمن بها عملًا صالحا مُبهِجا يجد في الجهر به ما يدعو إلى الفخر ويجعله راجحًا في عيون الغواني اللواتي ملكنَ عِنانَه؛ فتَمَكّنَّ من إسعاده وإحراق فؤاده بنار الأسى متى ما شئن أو قهرتنّ صروف الدهر على ذلك, ودونك ما فَعَلته به بسباسة التي عيرته بكبر سنه وخَوْر قواه فأجابها قائلا: (المصطاوي, 2004م, 136) (من الطويل)

ألا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليوْمَ أنّني ... كَبِرْتُ وَأنْ لا يُحسِنُ اللهوَ أمثالي

كذَبتِ لقد أُصْبي على المَرْءِ عِرْسَهُ ... وَأمْنَعُ عِرْسي أنْ يُزَنّ بها الخَالي

وَيَا رُبّ يَوْمٍ قَد لهَوْتُ وَلَيْلَةٍ ... بِآنِسَةٍ كَأنّهَا خَطُّ تِمْثَالِ

يُضيءُ الفِرَاشَ وَجْهُهَا لِضَجِيعها ... كمِصْباحِ زَيْتٍ في قَناديلِ ذُبّالِ

....

ومِثْلِكِ بَيضاءِ العوارِضِ طَفْلةٍ ... لعوبٍ تُنَسّيني، إذا قُمتُ، سِربالي

إذَا مَا الضّجِيعُ ابْتَزّهَا من ثِيابَها ... تَمِيلُ عَلَيهِ هُونَةً غَيرَ مِجْبالِ

ومما لا سبيل إلى إنكاره أنَّ امرأ القيس يرى في مواصلة النساء وإقامة العلاقات الحميمة معهن والتمتع الحسي بمفاتنتهن هو الدليل الدامغ على شبابه وقوته وشدة بأسه؛ إذ لا ينال وصل الحسان _في الأغلب _ إلَّا من يتمتع بالقوة والجمال والخصوبة, وكأن ذكره للآنسة البيضاء المشرقة, تأكيد على شبابه وفتوته وأنه لا يزال مدار اهتمام الحسان البيض, ويؤكد ذلك بعلاقته مع الطفلة بيضاء الخدين, ويواصل وصفه لجمالها الذي يدل على كثرة مريديها ممن يتوقون إلى وصالها, أي أن الذي يقضي وطره منها ويلهو بها هو فارس لمّا يزل في رَيّق شبابه ورَيَعان فتوته, فهو الذي يذلل الصعوبات ويفوز بقلوب النساء المتزوجات محدثا فجوة وجفاء بينهن وبعولتهن, الذين لا يقتدرون على مجاراته وبلوغ مكانته في قلوب الفاتنات, وكأنَّه يردد قول أبيقور الذي مفاده " أنا لا استطيع أن أدرك الخير إذا ألغيت من الحياه لذائذ: الذوق والسمع والنظر والمتع الجنسية ... وبدون شك يوجد سرور في نفسي ولكن هذا السرور لا يكون أبدا إلا من ذكريات ماضي اللذائذ الجسمية ومستقبلها وكذلك جميع المسرات التي يخيل إلى الناس أنها نفسية خالصه, هي كلها ماديه أو راجعة إلى نتيجة مادية " (عويضة, 1994م, 38), فالملك الضليل يشعر بالعجب والتيه عندما يصف دخوله قلوب الحسان دون استئذان وقضاء لبانات فؤاده منهنَّ, فضلا عن أنَّ إزماع بسباسة صَرْمه واستهانتها به أخذ بِضَبْعه إلى فتح باب العشق واللهو على مصراعيه والقيام بمغامرات تُحاكي مغامرات مَنْ كان في شَرْخ شبابه, " كما يُشكل تعدد النساء وطبيعة وضعهن الاجتماعي والكيفية التي يُقاربن بها تسويغا لجرأتها على الاقتراب منها" (القرشي, 2023م,20), واقتداره على استمالة قلبها وقضاء وطره منها, وكل هذا كان تأكيدا لهوية الفارس الفحل المعشوق المُتمنَّى, الذي يباشر الكواعب وينال مراده منهن أنى شاء.

وهذا الأمر لا يقتصر على امرئ القيس وحسب وإنَّما كان للأعشى من الفكر الأبيقوري ما يتساوق إلى حد ما وفلسفة امرئ القيس في الحياة, إذ يقول: (الرضواني, 2010م, 1/ 343_ 344) (من السريع)

وَقَدْ أرَاهَا وَسْطَ أتْرَابِهَا، ... في الحيّ ذي البهجةِ والسّامرِ

كَـدُمْيَـةٍ صُـوِّرَ مِحْـرَابُـهَـا ... بـمُـذهَـبٍ فـي مَرمَرٍ مائرِ
أو بيضةٍ في الدِّعصِ مكنونةٍ ... أوْ دُرّةٍ شِـيفَـتْ لَدى تَاجِرِ
عَهْدي بِهَا في الحَيّ قد سُرْبِلَتْ ... هَـيْـفَـاءَ مِثْلَ المُهْرَةِ الضّامِرِ
قـدْ نَـهَـدَ الثّـديُ على صدرها ... فـي مُـشـرِقٍ ذي صَبَـحٍ نائرِ
لـوْ أسنَـدَتْ ميـتـاً إلى نحرها ... عَـاشَ وَلَـمْ يُـنْـقَـلْ إلـى قَابِرِ
حتــى يـقـولَ النّـاسُ ممّا رأُوا: ... يـا عـجـبـاً لـلـمـيّتِ النَّاشِرِ

فالمرأة هنا هي مظان سعادة الأعشى وَرَوحه وريحانه؛ إذ جمع لها كل العناصر التي تمثل رموزا للمرأة المثال, فهي بيضة, ودرة يتلهف الناس عليها, ومهرة, فضلا عن صفة الإشراق والإصباح والنور (يُنظر: بوجلطية, 2005م, 118), زد على ذلك فكرة النشور وإحياء الموتى, فهي إحدى ركائز سعادته وغايات عيشه, وليس هذا وحسب وإنما هي من يستطيع إعادة الحياة إليه وبعث الراحة والدعة وخفض العيش, كيف لا وهي التي تستطيع أن تعيد إليه شبابه وصفو عيشه؛ إن احتضنته وأسندته إلى نحرها !!, فهو أبيقوري الفلسفة _ دون الاطلاع عليها _ إذ إن في " النظرية الأبيقورية: يظهر الألم عندما يتم منع وإيقاف لذة ما, أو أمنية من الأماني, واللذة هي التي تبعد هذا المنع بصورة سلبية, ومنه فعدم المعاناة وعدم الانزعاج هو الهدف " (عنيات, 2010م, 124), فلذة احتضانها هي التي تعيد إليه حياته _ المعنوية _ وتمده بكل ما يحتاج إليه من دفئ المرأة وحنانها, فهي فيما يخص مَنْ عشقها أشبه بمَنْ يهب الحياة أو يُصير البؤس فرحًا والاغتمام ابتسامًا, كما أنَّ دنوها منه يُشاكل اقتراب الضوء من عين رجل سار في درب شائك, وخير دليل على إصابة الأعشى في وصفه ما حلَّ بهائم أضناه الحبُّ وأسقمه فقيل لمعشوقته: " قومى اليه فمرضيه، ففعلت، وضمته الى صدرها فعادت قواه، قال بعض العواد: قاتل الله الأعشى، كأنَّه شهد أمرهما فقال:

لـوْ أسنَـدَتْ ميـتـاً إلى صَدْرِها ... عَـادَ وَلَـمْ يُـنْـقَـلْ إلـى قَابِرِ

فلما فارقته عاد الى مرضه، فلم تزل تتردد عليه حتى مات" (العسكري, 1987م, 155), ممثلًا الفلسفة الأبيقورية خير تمثيل فإما العيش كما يحب أو الموت دون ما يحب؛ فما للإنسان خير في الحياة التي تتسم بالبؤس والكمد المصحوبَيْنِ بألم الفراق الذي ضاق ذرعًا به فقضى نحبه.

ومما يحسن الإشارة إليه أنَّ عنترة بن شداد كان له نصيب من الفكر الأبيقوري على غرار امرئ القيس والأعشى, ولا أدل على ذلك من قوله: (سعيد, (د.ت), 29_ 32) (من الطويل)

أشاقَكَ مِن عَبلَ الخَيالُ المُبَرَّجُ ... فَقَـلبُـكَ مِـنـهُ لاعِـجٌ يَتَوَهَّجُ
فَقَدتَ الَّتي بانَت فَبِتَّ مُعَذَّباً ... وَتِلكَ اِحتَواها عَنكَ لِلبَينِ هَودَجُ
كَأَنَّ فُؤادي يَومَ قُـمتُ مُوَدِّعاً ... عُـبَيلَـةَ مِـنّي هـارِبٌ يَـتَـفَـجَّـجُ
.....
لَئِنْ أَضحَتِ الأَطلالُ مِنها خَوالِياً ... كَأَن لَم يَكُن فيها مِنَ العَيشِ مُبهِجُ
فَـيـا طالَما مـازَحتُ فيها عُبَيْلَةً ... وَمـازَحَـني فيـهـا الغَـزالُ المُـغَـنَّـجُ
أَغَـنُّ مَـلـيحُ الـدَّلِّ أَحـوَرُ أَكحَلٌ ... أَزَجُّ نَـقِـيُّ الـخَـدِّ أَبـلَـجُ أَدْعَـجُ

لَـهُ حاجِـبٌ كَالـنونِ فَـوقَ جُفونِهِ ... وَثَـغـرٌ كَـزَهرِ الأُقـحُـوانِ مُـفَلَّجُ
وَرِدفٌ لَـهُ ثِـقـلٌ وَخَـصـرٌ مُـهَفهَفٌ ... وَخَـدٌّ بِـهِ وَردٌ وَسـاقٌ خَـدَلَّـجُ
وَبَـطـنٌ كَـطَـيِّ السَّـابِـرِيَّـةِ لَـيِّـنٌ ... أَقَبُّ لَطيفٌ ضامِرُ الكَشحِ مُدمَجُ
لَهَـوتُ بِـهـا وَاللَّـيـلُ أَرخى سُـدُولَهُ ... إِلى أَن بَدا ضَوءُ الصَباحِ المُبَلَّجُ
وَتَـحـتِـيَ مِـنـهـا ساعِـدٌ فيهِ دُمـلُجُ ... مُـضـيءٌ وَفَـوقي آخَرٌ فيهِ دُمـلُجُ

قد تطرق الذكرياتُ باب العاشق فَيَلْتَعِج لها مسترجعًا اللحظات التي تمّ بها تمزيق صفحات اللقاء والشروع في كتابة فصل الفراق، وهي لحظات حاسمة يبذل فيها المرءُ قصارى جهده أملًا في الحَوْلِ دونَ فراق أحبته، وإنْ لم يقتدر على ذلك سوف يعدو فؤادُهُ خلف أحبابه حتى ينقطعَ نفسه؛ فيعود بخُفَّي حُنَين، ولا مُشاحَّةَ في أنَّ ما يؤكد الإنسانُ استرجاعه مِنْ ذكريات تزيد مِنْ أساه في الوقت الحاضر هي نفسها الذكريات التي كانت رَبَّة السعادة ومنهلها فيما مضى، وهذا البَون الشاسع بين إحساسه الحالي والماضي يَحضَّه على رسم لوحة في خياله لأجمل ذكرياته وأسماها، على النحو الذي بَيَّن به عنترة ما كان فيه مِنْ نعيم وأُنس إبَّانَ امتزاجه بعشيقته امتزاجَ الماء بالرَّاح، ومِنْ ثَمَّ عَمَدَ إلى تفصيل القول في مفاتنها وبهائها مبتدئًا بعينها فخدّها ثم حاجبها وكأنّ شاعرنا استهل وصفه بما أطال النظر ورَنَا إليه؛ فَبانَ شأوه على المحاسن الأخرى نحو ثغرها وعجزها وساقها وبطنها، وأغلب الظن أنّ عين عبلة هي التي رمته بسهم العشق الذي أصاب قلبه وفِكره في مقتل، وأنَّ خدّها الأسيل هو أول ما هَمَّ بتقبيله؛ إذ ابتدأ تغزّله به وذكره في بيتين دون سواه، مختتمًا غزله بِعِناق كعناق لؤلؤتين نُظمتا في سِمط، ومما يحسن التنبيه إليه " أنَّ بعض الرغبات الضرورية ضروري لتحقيق سعادتنا، وأنَّ بعضها الآخر ضروري لتخليص الجسد من الألم والاضطراب وأنَّ بعضها الثالث ضروري مِنْ أجل استمرار الحياة"(اللائرتي، ٢٠١٤م، ٣/ ٣١٤)، كَمَثَل رغبة عنترة التي مزج فيها الألم بالأمل، منتشيًا باسترجاع مغامرات عاشقٍ مَلَكَ حُبُّ عبلةَ عِنانَهُ فَوَلِهَ بها من راسها حتى أَخْمَص قدمها، ورسم لوحة عشق وتَمتّع ولهو مانحًا نفسه فسحة أمل وآخذًا بضَبْعها في الوقت نفسه إلى العمل على تجديد هذا الوصال في قابل أيامه لقضاءِ وَطْرِهِ مِمَّنْ أُشْرِبَ قَلْبُهُ حُبَّهَا.

ولا جَرَمَ أنَّ المرأة قد تربعت على عرش قلب بِشْر بن أبي خازم فاقتدرت على إسعاده وإغاظته, أليس هو الذي يقول: (حسن, 1960م, 20) (من الوافر)

نَـأَتْ سَـلْمَى وَغَـيَّـرَهَـا التَّـنَـائِي ... وَقَدْ يَسْلُو المُحِبُّ عَنِ الحبيبِ
فإنْ يَـكُ قَـدْ نَـأَتْنِي اليَوْمَ سَلْمَى ... وَصَدَّتْ بَعْدَ إلْفٍ عَنْ مَشِيبي
فَـقَـدْ أَلْـهُـو إذَا مَـا شِـئْـتُ يَوْمًا ... إلَـى بَـيْـضَـاءَ آنِـسَـةٍ لَعُوبِ

كلّما تقدمت السّنُّ برجل حَصيف حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ وَعَجَمَ عُوْدَهُ ونال مِنَ المعارف ما يكفيه مؤونة الخوض في غمار هذه الحياة، بيد أنَّهُ سيدفع ثمنَ هذه الحَصافة والحنكة شيبًا وتخديدًا؛ فكل شيبة هي ورقة نقدية دُفِعَت للزمان جزاءَ درسٍ من دروس الحياة الثمينة، إلَّا أنَّ هذه المعارف والفضائل قَدْ تبخس حقها بعض النساء مِمَّنْ يرينَ المعنى القريب دون البعيد ويقرأن السطور دون اكتناه تضاعيفها وما بين ثناياها، ومهما رجح الكهل في عين نفسه فهو أصغر من نظرته لنفسه في أعين بعض الغواني؛ وهذا الأمر يحدو به إلى الانتصار لنفسه ويجعله يعمل على

الانخراط في سلك الرجال الذين تُحبّذهم النساء وتُفضّلهم على أترابهم، ولا مِراءَ في أنَّ إغاظة المرأة بالكشف عن حب مَنْ تفوقها حُسنًا وتصغرها سنًا قد يعيدها إلى جادة الصواب ويُعلي محله ويُجلسه على عرش قلبها؛ مما يجعل شيبَهُ مصابيحَ تُزيّن سماءَ شعره فتغدو بعد أنْ كانت مِنْ دواعي الهم ما يُفرحه ويثلج صدره، فيتملكه إذ ذاك _ على الرغم من كهولته_ إحساسُ مَنْ كان في ميعة صباه وشَرْخ شبابه، وهذا وَكْدُ بِشْر بن أبي خازم ومنتهى طلبه، وما رمى إليه في هذه الأبيات التي أعربت لنا عَمَّا يدور في خلده ويجيش في صدره.

وقد سار المُرَقِّش الأكبر على منهاج بِشْر فاستمع لقوله: (صادر, 1998م, 51_ 52) (من الطويل)

سَرى لَيْلاً خَيالٌ مِنْ سُلَيْمى ... فـأَرَّقَني وأَصْحابي هُجُودُ
فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِي كلَّ حالٍ ... وأَرْقُبُ أَهْلَها وهُمُ بعيدُ
.....
ما بالي أَفِي ويُخانُ عَهْدِي ... وما بالي أُصادُ وَلا أَصِيدُ
ورُبَّ أَسِيلةِ الخَدَّيْنَ بِكْرٍ ... مُنَعَّمَةٍ لها فَرْعٌ وجِيدُ
وذُو أُشُرٍ شَتِيتُ النَّبْتِ عَذْبٌ ... نَقِيُّ اللَّوْنِ بَرَّاقٌ بَرُودُ
لَهوْتُ بها زَماناً مِن شَبابي ... وزارَتْها النَّجائِبُ والقَصِيدُ
أُناسٌ كلَّما أَخْلَقْتُ وَصْلاً ... عَنانِي منهُمُ وَصْلٌ جَدِيدُ

قد لا يبوح الشاعر بما اكتَنَّ في صدره بصورة مباشرة وأُسلوب تقريري؛ إذ إنَّ المبدع يخلق عالمًا من الخيال يُريكَ الأشياء نفسها بشكل مُغاير وهذا الاختلاف متأتٍ مِنْ رغبة الشاعر في التفرد وانقطاع النظير ولفت انتباه المتلقي لجعله يرفع أشرعة التفكر والتدبر ويُبحر في عُباب الخيال الزاخر؛ فيقاسم الشاعر أفراحه وأتراحه مثلما أراد المُرَقِّش من ابنة عمه وعشيقته أسماء التي أحبها وقال قصيدته بين يديها قبل أن يموت كمدًا؛ إثرَ تزوجها رجلًا آخر، وسُليمى هي الوجه الآخر لأسماء التي يشكو لها معاناته غِبَّ رحيلها عن ديارهم ونقضها عهده بعد ميثاقه ومِنْ ثَمَّ عادت قُوَاه كما تعود قُوَى من تضمه حبيبته إلى صدرها؛ فأفصح عن لَهْوِهِ بفتاةٍ بِكْر صبيحة الوجه بديعة المَحاسِن تَلْعاء الجيد لها شعر طويل يُحاكي سوادَ الإثمد، عذبة الثنايا معسولة اللمى، ألفت ديارها ناقتُه وشَنَّفَ آذانَها بَديعُ نَظْمِه وأبهج قلبها ولُبَّها بشعره المطبوع؛ ونتيجة لذلك كانت كلما قَطَعَ حبلَ وصلها جددت الوصال وسقت زهرة الحب الذابلة بكأس الهوى.

ولعل من مُستحسَن القول: إنَّ سلمى هي معادل موضوعي للصورة المثلى التي تمنى أن تكون عليها حبيبته أسماء التي أسقمه هجرُها وفراقُها وجعلا انقضاء أجله قَابَ قَوسينِ أو أدنى، ولو صنعت أسماءُ صنيعَ سلمى وشابه إخلاصُها إخلاصَ سلمى ووفاءها؛ لعاش دَهْرًا طويلًا وكان أكثر الناس سعادة ودَعَة.

ويبدو لنا أنَّ فلسفة الشاعر الأبيقورية حدت به إلى استعذاب الموت بعد غياب مُتَع الحياة ومعناها؛ إذ لم يعبر في قصيدته عن تمسك بالحياة أو شكوى من سقم مُدْنِف، وإنَّما بذل قصارى جهده في نحت تمثال للمرأة التي تجعل بؤس الحياة نعيما وعلقمها شهدًا وضرب صفحا عما سواها مُعرِضًا عن الدنيا عندما لم يظفر فيها بفتاة مثلها.

الخمرة الأبيقورية رَبَّة الانتشاء ومعراج الروح

ليس من شك في أنَّ تحكّم الإنسان بمشاعره من أشد التحديات صعوبة وأكثرها عسرًا، وآية ذلك قول النبي الأكرم (ص) " لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"، (البخاري، ١٩٩٣م، ٥/ ٢٢٦٧)، فيكظم غيظه ويُسيِّر مشاعره في منهاج الحِلْم والأناة، وهذا ما لا يقتدر عليه إلا القلة القليلة من الناس، فَمَنْ ذا الذي يصل بنفسه إلى رُتبة تغلب عليه فيها نشوة الطَّرب ويستخفه الفرح بعد أنْ كان في لُجَّة بحر الأحزان قبل لَحَظَات!، ونتيجة لما تتسم به الشَّمول مِنْ قدرة في جسوم الأنام تُغير أحاسيسهم من حال إلى حال؛ أجْلَلَ الجاهليون شأنها لما فيها من منافع قد أقرها الله (جل في علاه) في القرآن الكريم فيما بعد فاستمع لقوله تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا"، (القرآن الكريم، البقرة، ٢١٩)، ومما يحسن التنبيه إليه أنَّ طائفة من شعراء الجاهلية قد شابه فكرُها الفكرَ الأبيقوري _ دون علم به في الأغلب_ فعمدوا إلى الهروب من كل ما يكدر صفو عيشهم والارتماء في أحضان الغبطة والحُبُور مهما كان الثمن غاليًا، ولا أدل على ذلك مما طلبه عَبِيد بن الأبرص من المنذر بن ماء السماء عندما زاره في يوم بؤسه فعزم المنذر على سفك دمه مخيرًا إياه في طريقة قتله؛ فخاطبه عَبِيد قائلًا: " إنْ كنتَ لا محالة قاتلي فاسقني الخمر حتى إذا ماتت مفاصلي وذهلت لها ذواهلي فشأنك وما تريد فأمر المنذر بحاجته من الخمر حتى إذا أخذت منه وطابت نفسه دعا به المنذر ليقتله" (الأصفهاني، ٢٠٠٨م، ٢٢/ ٦٣)، وعلى الرغم من وروده حياض المنية عنوة، فقد اختار نهاية يرى أنها الفضلى تبعًا لفلسفته الأبيقورية وارتفاع منزلة الصهباء في عينه، إلى الحد الذي جعله يختارها كرفيق وسمير أخير، ولا جرَمَ أنَّ الرفيق الأخير هو الأحب _ في الأغلب_، وفضلًا عن ذلك أكد الجاهليون ما تبعثه الخمرة من شعور بالهيبة والسمو والاستئساد في القتال, فاستمع لقول حسان بن ثابت: (سنده, 2006م, 14) (من الوافر)

وَنَشربُهَا فَتَترُكُنَا مُلُوكاً ... وَأُسْداً مَا يُنَهْنِهُنا اللِّقَاءُ

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن للراح فعلا كبيراً في شحذ همم العرب والأخذ بضبعهم نحو الظفر والانتصار, وليس هذا وحسب وإنَّما كانوا يقدسون الخمرة إلى الحد الذي جعلهم يقسمون بها, ودونك قول حسان بن ثابت: (سنده, 2006م, 272) (من الوافر)

حَلَفتُ لهُ بِما حَجَّت قُرَيشٌ ... وكُلِّ مُشَعْشَعٍ مِ الخَمرِ آنِ

فالخمرة في نظر أهل الجاهلية كالكعبة المقدسة, يُقْسَم بناضجها الممزوج بالماء أو غير ذلك, فهي معراج أرواحهم ومبيد همومهم, فضلا عن لذتها الحسية _ التي يجهلون سببها العلمي _ مما حدا بهم إلى تقديسها وإعلاء شأنها.

وللأعشى في خمرياته ما يؤكد هذا التوجه فيقول: (الرضواني، ٢٠١٠م، ١/ ٢٥٢_ ٢٥٤) (من الطويل)

وَكَأسٍ كَماءِ النَـيِّ باكَرتُ حَدَّها ... بِـغِـرَّتِها إذ غَـابَ عَنّي بُغاتُها

كُمَيتٍ عَلَيها حُمرَةٌ فَوقَ كُـمتَـةٍ ... يَكادُ يُفَرّي المَسكَ مِنها حَماتُها

وَرَدتُ عَلَيها الريفَ حَتّى شَرِبتُها ... بِـمـاءِ الـفُراتِ حَولَنا قَصَباتُها

لَـعَـمرُكَ إنَّ الـراحَ إن كُنتَ سائِلاً ... لَـمُـخـتَـلِفٌ غُـدِيُّها وَعَـشاتُها

لَنا مِن ضُحاها خُبثُ نَفسٍ وَكَأبَةٌ ... وَذِكرى هُمومٍ ما تَغِبُّ أَذاتُها

وَعِـنـدَ العَـشِيِّ طِيبُ نَفسٍ وَلَذَّةٌ ... وَمـالٌ كَـثـيـرٌ غُـدوَةً نَشَواتُها

عَلى كُلِّ أَحوالِ الفَتى قَد شَرِبتُها ... غَنِيّاً وَصُعلوكاً وَما إِن أَقاتُها

لا نغالي إذا قلنا: إنَّ الأعشى يراقب وقت شرب الخمر مراقبة المحب المشوق وقت لقاء حبيبته وليس هذا وحسب وإنَّما يعمد إلى سبق أترابه بشربها والارتواء منها وكأنّ الزِّق فتاة عذراء يرغب شاعرنا في افتضاض بكارتها، مسترسلًا في وصفها والتغزل بها فهي حمراء مازج حمرَتها بعضُ السواد، يكاد فَوَرانُها يمزق جلد زِقِّها، ذهب إليها الأعشى مثلما يسمو العاشق إلى عشيقته محددًا مكان لقائهما واختلاف حالها عند شربها تبعًا لاختلاف وقت تعاطيه كؤوسها هو وَنَدَامَاه، فضلاً عن أنَّها رفيق لا يفارقه في حله وترحاله يشربها في فقره وغناه وابتهاجه وابتئاسه.

ومن المفيد التذكير بأنَّ إحساس الأعشى الغامر بالانتشاء عند شربه الراح هو " نزعة تعمل في خدمة وظيفة, وهذه الوظيفة تهدف إلى تحرير الجهاز النفسي تحريراً تاما من الاستثارة أو إلى إبقاء مقدار الاستثارة ثابتاً, أو الاحتفاظ به في أقل مستوى ممكن " (فرويد, 1952م, 104_ 105), وتبعا لذلك فالخمرة هي بُحبُوحَة عيش شاعرنا ونعمته الوافرة التي تُشعره بسعة العيش ولينه وهنائه, وهذا ما يحاكي ما يذهب إليه الأبيقوريون الذين " جعلوا المقياس والمصدر في المعرفة الصحيحة هو الإحساس, في باب المعرفة, كما جعلوا المقياس هو اللذة والخلو من الألم, في باب الأخلاق " (بدوي, 1984م, 82), فسُكر الأعشى وحُبُوره هو النعيم الأبيقوري الذين ينقله إلى مجال طاقي آخر يتناسى فيه همه وأوجاعه ويأسو كَلْم قلبه الذي أصابته به معاطب الأيام.

وقد سار علقمة الفحل على منهاج الأعشى في قوله: (صقر, 1935م, 67_ 68) (من البسيط)

قَدْ أَشْهَدُ الشَّرَّبَ فِيهِمْ مِزْهَرٌ رَنِمٌ ... وَالْقَوْمُ تَصرَعُهُمْ صَهْبَاءُ خُرْطُومُ

كَأْسُ عَزِيزٍ مِنَ الْأَعْنَابِ عَتَّقَها ... لِبَعْضِ أَرْبَابِها حَانِيَّةٌ حُومُ

تَشقِي الصُّدَاعَ وَلَا يُؤْذِيكَ صَالِبُها ... وَلَا يُخَالِطُها فِي الرَّأْسِ تَدْوِيمُ

عَانِيَّةٌ قَرْقَفٌ لَمْ تُطَّلَعْ سَنَةً ... يُجِنُّها مُدْمَجٌ بِالطِّينِ مَخْتُومُ

ظَلَّتْ تُرَقْرَقُ فِي النَّاجُودِ يَصْفِقُها ... وَلِيدُ أَعْجَمَ بِالْكَتَّانِ مَفْدُومُ

مِنَ المُفيد التذكير بأنَّ الشاعر رسم لوحةً فنية تسربلت بالمَلاحة بفرشاة رسام كَيِّس رسم لنا ما لا يقتدر عليه أمهر الرسامين؛ إذ استهل لوحته برسم صوت العود الحَسَن، ثُمَّ عَرَّجَ على ندمائه الذين كُبلوا بقيود الخمرة التي لا يرغبون في الإفلات من أسرها، وشَرَع بعد ذلك في تبيان كَرَم مَحْتِدِها حينما نَسَبها إلى ملك من مُلُوك الفرس أو الروم، وَشَفِعَ هذه المنزلة السَّنية بتفصيل القول في محاسنها: فهي تداوي رأس من يشعر بالصداع ولا تُصيبه بدوار السُّكْر، وكأنَّها خمرة الآخرة التي وصفها الله (جل في علاه) بقوله: {لا يُصَدَّعُونَ عَنْها وَلا يُنْزِفُونَ}(القرآن/ سورة الواقعة،١٩)، فضلًا عن أنَّها من مدينة عانة العراقية التي نسبَ العربُ إليها الخمرة الطيبة(يُنظر: معجم البلدان، ٤/ ٧٢)، ومِنْ ثَمَّ يسترسل في سَرْد حَمِيْد صفاتها بعد أنْ خُتِمَت وعُتِّقَت في دَنِّها حولًا كاملًا فلم تَرَها فيه عينٌ قط؛ فَغَدَتْ تُرعِد شاربها انتشاءً لمواصلته شربها كأسًا بعد كأس، ولم يكتفِ بذلك وإنَّما وَصَفَ حركتها جيئة وذهابا مُعرِبًا عن كيفية تصفيتها وتنقيتها، ولا نُغالي إذا قلنا: إنَّ علقمة وصف الخمرة مثلما يصف الشاعر المُغْلِق والعاشق في الوقت نفسه، معشوقته الحسناء، فكأنَّ الصهباء معادل موضوعي لوجه الحياة الصبيح لدى شاعرٍ رأى في الحياة الأبيقورية التي ترمي إلى عيش اللحظة باستمتاع وسعادة قصوى عن طريق العَبّ من مباهج الحياة أفضلَ سبل العيش لإنسان ضرب صفحا

عن كل ما يكدر صفو حُبُوره، وآمن بمبادئ أبيقور على علم أو دون علم بها؛ إذ يرى الفيلسوفُ " أنَّ الشيء الوحيد الذي له قيمة جوهرية هو متعة المرء وأي شيء آخر –بما في ذلك الفلسفة– لا قيمة له إلا بقدر ما يساعد المرء على نَيل المتعة النفسية"(O'Keefe، 2014 / p4)، وهذه المتعة المنشودة أخذت بِضَبْعِ شاعرنا إلى اختيار حياة ملؤها الطرب والدَّعة واللهو مع فتية يقاسمونه شربَ الراح متمنيا دوام حاله هذه حتى انقضاء أجله.

ويجمل بنا أن نستشهد بما يوليه عدي بن زيد العبادي من تفخيم للخمرة؛ إذ يجعلها سلمًا يسمو به إلى ذرى السعادة قائلًا: (المعيبد, 1965م, 166) (من السريع)

نادَمتُ في الدَيرِ بَني عَلقَما ... مَـشمـولَةً تَحسَبُها عَندَما
كَأَنَّ ريحَ المِسكِ في كَأسِها ... إذا مَـزَجنـاها بِماءِ السَما
مَـن سَـرَّهُ العَـيـشُ وَلَذّاتُهُ ... فَـلـيَجـعَلِ الراحَ لَهُ سُـلَّما
عَـلـقَـمَ مـا بـالُـكَ لَمْ تَـأتِنـا ... أَما اشتَهَيتَ اليَومَ أَن تَنعَما

هذا القصيد يكشف عن إكبار الخمرة وإجلالها, نظراً إلى ما تبعثه من نشوة ولذة حسية, مما يدل على أن سبب تقديس الخمرة متعلق _ إلى حد لا يستهان به _ بالانتشاء الحسي, و "مما لا شك فيه أنَّ الأبيقوريون قد نظروا إلى اللذات الحسية على أنَّها الأساس للَّذات الباطنية والانفعالات السلبية, فالأصل إذن في كل فعل أخلاقي أنْ يتجه إلى تحصيل اللذة أو تجنب الألم ومن الخطأ أنْ يُظن الأمر على العكس من هذا, وأبيقور يسخر سخرية شديدة من هؤلاء الذين يندفعون وراء أوهام زائفة, هي أوهام اتباع الخير للخير, أو الفضيلة للفضيلة, بصرف النظر عن كل لذة أو تجنب الألم" (بدوي, 1984م, 87), وهذا الأمر إنْ دل على شيء فإنَّما يدل على أنَّ تجربة السكر عند عدي, ليست ببعيدة عن المذهب الأبيقوري البتة؛ فهو يؤمن بما تبصره عينه وتلمسه يده وتُحدثه المُدَامُ من تأثير ميتافيزيقي يجهل سببه ويشعر بمنافعه في الوقت نفسه؛ لأنها تبيد همومه _ فيما يبدو له_ وتُورده هو ونداماه كؤوس النعيم، بِغَضِّ النظر عن مضارها وآثامها التي لم يحرّمها دينه ولم تُشَنّعها رؤاه وعقائدُهُ.

وهذا الأمر لا يقتصر على شاعر جاهلي واحد أو اثنين وإنَّما هناك العديد من الشعراء الذين يُشاكلون فلسفة شعرائنا المذكورين آنفًا؛ إذ نجد عند المُنَخَّل اليَشْكُرِي ما يبذ فلسفة عدي في تقديسها, وتعظيمها, فاستمع لقوله: (الجاحظ, 2002م, 3/ 226) (من مجزوء الكامل المُرَفَّل)

وَلَقَد شَرِبتُ مِـنَ المُدَا ... مَـةِ بِالقَـلِيْلِ وَبِالْكَثِيْرِ
وَلَقَد شَرِبتُ مِـنَ المُدَا ... مَـةِ بالصَّـغِيْرِ وَبِالكَبِيْرِ
وَلَقَد شَرِبتُ الخَمْرَ بِالـ ... خَـيلِ الإِنـاثِ وَبِالذُكورِ
فَـإِذا انـتَشَيتُ فَإِنَّـني ... رَبُّ الخَـوَرنَـقِ وَالسَّديرِ
وَإِذا صَـحَـوتُ فَـإِنَّـني ... رَبُّ الـشُّـوَيـهَـةِ وَالبَعيرِ

قد يعشق المرءُ غانية فيختصصها بمودّته ويوليها اهتمامًا يجعلها مطلبه الأول وشغله الشاغل، ومرد هذا إلى مبادلتها إياه الحب بالحب والاكتواء بالاكتواء _ في الأغلب_؛ لأنَّ الإنسان يحب الآخر ابتغاء نيل منفعة متبادلة أو غير

متبادلة سواء أمنفعة ملموسة كانت أم محسوسة؛ ولا جَرَمَ أنَّ المُنَخَّل يعطي لأجل ورود كأس الرَّاح مالًا وينظم فيها شعرا خالدا؛ فتهبه انتشاءً قد يطول ويقصر فيه منافع جمّة فيما يرى شاعرنا.

ويَتَبَدَّى لنا في هذه الأبيات أنَّ الخمرة قد شغفت المُنَخَّلَ حبًا وكان لها قصب السبق في استباق ملذات حياته؛ إذ إنها تريه الحياة بشكل أجمل مما هي عليه, " لذا طلب الهرب من الحياة إلى الخمرة كخلاص إلى عالم آخر _ في نظره _ أكثر نقاءً" (فيدوح, 1998م, 90)؛ مما حدا به إلى العَبِّ منها على كل أحوالها وباختلاف الألوان وتباين الأثمان، وكأنه يريد تجربتها بما لها وما عليها وبصفوها وكدرها وجديدها ومُعتّقها.

ومما يحسن التنبيه إليه أنَّه يريد بالصغير الدِّرْهَم وبالكبير الدينار، ويعني بالبيت الرابع أنَّه إذا سكر وأخذته النشوة رأى نفسه كالنعمان بن المنذر ملك الحِيْرة الذي بنى قصر الخورنق ومَلَك نهر السدير(يُنظر: التبريزي، (د.ت)، ١/ ٢٠٥)، وقد أعرب في البيت الأخير عن أنَّ شُرْبَ المُدامَة يحضَّه على الجود بكل ما حازه من مال " أي: أظنّ أنّي ملك فأجود بما أملك" (المعري، ٢٠٠٨م، ١٢٥٠)، والحق أنَّ هذا الجود مغاير لما جُبل عليه معظم الناس في عطائهم؛ إذ يعطي النشوان الثمل وهو فَرِح بشكل يُضارع ابتهاج المُعطى، وكل هذا متأت من التداخل بين وظائف العقل الواعي والعقل الباطن الذي سُرَّ به شاعرنا فأحبّه وأحبَّ بواعثه.

ولم يختلف عمرو بن الإطنابة عن أترابه من الشعراء؛ إذ تغنى بشربه الراح قائلا: (ابن الأثير, 1997م, 1/ 595_ 596) (من الكامل)

صَرَمَتْ ظَلِيمَةُ خُلَّتِي وَمَرَاسِلِي ... وَتَبَاعَدَتْ ضَنًا بِزَادِ الرَّاحِلِ
جَهْلًا وَمَا تَدْرِي ظَلِيمَةُ أَنَّنِي ... قَدْ أَسْتَقِلُّ بِصَرْمِ غَيْرِ الْوَاصِلِ
ذُلُلٌ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَيَّعِي ... أَنِّي أَرُوعُ قَطَا الْمَكَانِ الْغَافِلِ
أَظَلِيمُ مَا يُدْرِيكِ رُبَّةَ خُلَّةٍ ... حَسَنٌ تَرَغَّمَهَا كَظَبْيِ الْحَائِلِ
قَدْ بِتُّ مَالِكَهَا وَشَارِبَ قَهْوَةٍ ... دِرْيَاقَةٍ رَوَّيْتُ مِنْهَا وَاغْلِي
بَيْضَاءُ صَافِيَةٌ يُرَى مِنْ دُونِهَا ... قَعْرُ الْإِنَاءِ يُضِيءُ وَجْهَ النَّاهِلِ

مما لا يقبل أي ريب أنَّ الإنسان مجبول على البحث عن نصف روحه الآخر الذي يتماهى فيه؛ فيتمخض عن هذا التماهي سعادة تحملهما على أجنحتها فتبَلِّغهما عرشَ الحُبُور الذي يَلحَظوا سحائبَ الأحزان من تحته وهو ينتعل النُّجُومَ، بيد أنَّ هذا الابتهاج قائم على دعامتين من المُحِب والمحبوب، فَإنِ افترقا تداعى بنيانه ودُكَّتْ أركانه دكًا؛ مما يُحتّم عليهما انتهاج أحد السبيلين، إما منهاج القنوط والابتئاس والإعراض عن مباهج الدنيا وزينتها والاكتفاء باسترجاع حلو الذكريات ومرها، أو السير في درب الاعتياض بِخَدِينٍ أو حبيبٍ آخرَ، وهذا ما أعرب عنه شاعرنا المنتصر لنفسه، بعد أنْ أزْمَعَتْ حبيبتُهُ هجر وصاله؛ فأراها ما رفلَ به من نعيم وانتشاء ارتقى إليهما بجَناحَي الخمرة والمرأة الحسناء التي تسره مشاكستها وتجميشها ومن ثَمَّ نيل شهد الرضا بعد علقم الصدود، مما يهبه الطمأنينة والشعور بالزهو والانتصار النفسي، ولا جَرَمَ " أنَّ الملذات العقلية أعظم من الملذات الجسدية، وانعدام الألم يعد أحد أنواع المتعة، كما أنّ أعلى أنواع المتعة هو الطمأنينة والتحرر من الخوف والقلق" (O'Keefe/ 2014,p117)، على

النحو الذي تخلَّص به شاعرنا من ألم الإعراض والهجر بامتلاك غانية وكأس شَمول كأنَّه ترياق يأسو الروح قبل الجسم، فواقعها شمس مضيئة نورها يُحاكي مرآة فضية يَرى فيها شاربها عالمًا آخرَ يَقرّ به ناظره.

دعائم الحياة الأبيقورية

إنَّ ما يحيط بالإنسان من أسرة وبيئة ومجتمع ووعي جمعي يُسهم بشكل كبير في تشكيل شخصيته ورسم الخطوط العريضة لأسلوبه في الحياة ونظرته إلى الموت وما بعده، وهذا الأسلوب يؤدي فعلًا مؤثرًا في توجيه طريقة تفكير الإنسان وتَبَنّيه منهاجًا فكريًا معينًا في الحياة لا يحيد عنه _ في الأغلب_، ونتيجةً لذلك انتهج شعراؤنا الأربعة منهاجًا فكريًا متساوقا _ إلى حد ما_؛ إذ جعلوا للخمرة والمرأة والفتوة القِدْح المُعَلَّى من مقومات حياتهم وزينتها، وقد شَغِفَها بعضُهم بمُحَسّنات أُخرى لحياته، وكل منهم أعربَ لنا بشعره عن دعائم سعادته وإحساسه بمعنى الحياة، وبيّن لنا ما يستأهل حبّ الدنيا لأجله وتمني البقاء على قيد الحياة ما دامت رغائبه في متناول يده، ولا يفتأ يذكرها لَهِجًا بها من ميعة صباه حتى كهولته أو شيخوخته، ولا أدل على ذلك من قول امرئ القيس: (المصطاوي, 2004م, 125) (من الطويل)

جَزَعتُ وَلَم أَجزَع مِنَ البَينِ مَجزَعا ... وَعَـزَّيتُ قَلباً بِالكَواعِبِ مولَعا
وَأَصبَحتُ وَدَّعتُ الصِبا غَيرَ أَنَّني ... أُراقِبُ خَلَّاتٍ مِنَ العَيشِ أَربَعا
فَمِنهُنَّ: قَولي لِلنَّدامى تَرَفَّقوا ... يُداجونَ نَشّاجًا مِنَ الخَمرِ مُترَعا
وَمِنهُنَّ: رَكضُ الخَيلِ تَرجُمُ بِالقَنا ... يُبادِرنَ سِرباً آمِناً أَن يُفَزَّعا
وَمِنهُنَّ: نَصُّ العيسِ وَاللَيلُ شامِلٌ ... تَيَمَّمُ مَجهولاً مِنَ الأَرضِ بَلقَعا
خَوارِجُ مِن بَرِّيَّةٍ نَحوَ قَريَةٍ ... يُجَدِّدنَ وَصلاً أَو يُقَرِّبنَ مَطمَعا
وَمِنهُنَّ: سَوْقي الخودِ قَد بَلَّها النَّدى ... تُراقِبُ مَنظومَ التَمائِمِ مُرضَعا
تَعِزُّ عَلَيها رَيبَتي وَيَسوءُها ... بُكاهُ فَتَثْني الجيدَ أَن يَتَضَرَّعا

تملأ مياهُ الطمأنينةِ أنهارَ سعادة المرءِ حينما يجد أنَّ أمور حياته وشؤونها كلها قد جرت كما يشاء، بيد أنَّ جريانها في خِلاف ذلك يجعله ساهِمًا كاسِفَ الوجه، كحال امرئ القيس الذي زَارَهُ خَريفُ العُمر أو كاد أن يزوره؛ فَتَمَلَّكه الحُزن والجَزع وصَبَّر قلبه المفتون بالغواني اللَّهِج بذكر مَنْ تكعّبت أثداؤهن وهُنَّ في رَيّق الشباب؛ نظرًا إلى عدم استساغته التصابي وإدراكه الفجوة الواسعة بينه وبين فتيات في مُقتبل العمر، وعلى الرغم من ذلك نرى شاعرنا يؤكد انتظاره خصالا أربعا يراقب وقتَ مجيئها مراقبةَ المَشُوقِ الصَّبِ؛ لأنَّها رَوحه ورَيحانه ومدعاة فخره وحُبُوره والدافع الذي يحضه على الشعور بأنَّه شخص خليق بالبقاء على قيد الحياة وعلى النظر إلى الدنيا وكأنَّها دار ابتهاج ومسرات، فَهُنَّ خير متاع الدنيا _فيما يرى_؛ وهُنَّ المنهل العذب الذي يمتح منه ماء الابتهاج والهناء وهذا الإحساس والمبدأ يتساوق وفلسفة أبيقور؛ إذ" يرى أبيقور أنَّ المتعة الشيء الوحيد الذي نسعى إليه جميعًا، ونسعى إليه بسبب الشعور الذي يمنحه إيانا، في حين أن الأشياء الأخرى التي نسعى إليها كلها، متأتية من الرغبة في نيل المتعة" (Sherman, 2017, 50)، وهذه الرغبة تسلك طرقا شتى تختلف باختلاف رغائب الإنسان وميوله، وشاعرنا يتملّكه الشعور بالظفر بالراحة الكبرى كلما سامر نداماه مستمعًا لغليان الخمر في زِقٍّ مُلئ خمرًا، وركبَ الخيلَ هو وأصحابه

مطاردين قطيعًا من البقر الوحشي أو الظباء، ويبدو لنا أنَّ امرأ القيس ينتزع الإجذال والبِشْر في هذه الأوقات انتزاعًا من يد الزمن؛ فعدما بظفر بطريدته يمسك بخيط الابتهاج المتواري خلف التفكير في الموت والفناء والغموض الذي يكتنف فلسفة الحياة والموت وما بعده، وينتابه الإحساس نفسه عندما يسوق الإبل البيض في ليل شملت ظلمته كلَّ شيء، قاصدًا أرضًا مقفرة، ومن ثَمَّ يركب هذه الإبل خارجًا من القفر إلى الحضر رغبةً في وصل حبيب أو بلوغ غايات أخرى تهفو إليها نفسُهُ، ولا يُخامِرُنا رَيْبٌ في أنَّ امرأ القيس قد سَلَّمَ الغواني قَصَبَ السَّبق وفضلهُنَّ على ما ذكره مِنْ خَلَّاتٍ ثلاثٍ أُخَرَ؛ إذ استهل أبياته بذكر النساء واختتم حوائجه من الدنيا بذكرهن ومن المفروغ منه أنَّ ما نبتدئ الكلام ونختتمه به هو واسطة عقد أوطارنا ودرة تاج حوائجنا.

وما ذلك ببعيد عن قول طرفة بن العبد: (ناصر الدين, 2002م, 25) (من الطويل)

أَلا أَيُّهَذا اللائِمي أَحضُرَ الوَغى ... وَأَن أَشهَدَ اللَذّاتِ هَل أَنتَ مُخلِدي

فَإِن كُنتَ لا تَستطيعُ دَفعَ مَنيَّتي ... فَدَعني أُبادِرها بِما مَلَكَت يَدي

وَلَولا ثَلاثٌ هُنَّ مِن عيشَةِ الفَتى ... وَجَدِّكَ لَم أَحفِل مَتى قامَ عُوَّدي

فَمِنهُنَّ سَبقي العاذِلاتِ بِشَربَةٍ ... كُمَيتٍ مَتى ما تُعلَ بِالماءِ تُزبِدِ

وَكَرّي إِذا نادى المُضافُ مُحَنَّباً ... كَسِيْدِ الغَضا نَبَّهتَهُ المُتَوَرِّدِ

وَتَقصيرُ يَومَ الدَّجنِ وَالدَّجنُ مُعجِبٌ ... بِبَهكَنَةٍ تَحتَ الطِرافِ المُعَمَّدِ

تختلف النظرة إلى الحياة وما فيها من إنسان إلى آخر؛ فبعضهم يرى السعادة في ركوب الأهوال والآخر يراها في تجنبها واغتنام الراحة، وحَريٌّ بنا أن نقول: إنَّ مَنْ يُلقي بنفسه في مهاوي الردى ويُعانق بدرعِهِ رماحَ الأعداء حريص على حياته كحرص الجبان عليها _في الأغلب_ بيدَ أنَّهُ يتطلع إلى قضاء غايات في نفسه لا تتم إلَّا بمواجهة التحديات العصيبة وقطف ثمار هذه المجابهة الحاسمة.

ولا مُشاحَّةَ في أنَّ طرفة بن العبد قد واجه تحديات جَمَّة كان يرمي من ورائها إلى بلوغ غايات سامقات يُستعذب الوَجَع والخطر في سبيلها، مثلما يَستعذب شارب الشهد لسعات النحل، وهذا ما جعل لخوض غمار الحرب، وإتلاف المال بإسراف في سبيل الفرح والابتهاج، والعَبِّ مِنْ دنان الخمر عَبّا والإسراع إلى نجدة الخائف المذعور على فرس يجاري الذئب في سرعته، والارتماء في أحضان فتاة جميلة مكتنزة في يوم ممطر كثير السحاب، طعمًا واحدًا وانتشاء متشاكلا، وفضلًا عن ذلك أكد الشاعر ما تمثله المرأة ومفاتنها من ضرورة ملحة وحاجة أساس في حياته؛ لأنَّها أحد أركان سعادته ودواعي نشدانه استمراره في الحياة الدنيا، وطول بقائه فيها، فاختلائه بامرأة حسناء ممتلئة الجسم يُقصّر الوقت الطويل، ويُجمّل الأوقات العصيبة ويُشعره باللذة والانتشاء، فلو " كانت مصادر اللذة تسمح بتخليص الفكر من القلق الذي تحدثه فيه الظواهر السماوية والموت والعذاب ولو كانت هذه المصادر تعلمنا _ فضلا عن ذلك _ الحدود التي تقف عندها الرغبات لما وجهنا التوبيخ إلي الفساق؛ إذ إنَّ اللذة ستغمرهم من كل جانب دون أن يختلط بها الألم ولا الحسرة اللذان يمثلان الشر الحقيقي " (عرعور، ٢٠٠٥م، ٢٩)، ولا نغالي إذا قلنا: إنَّ خير طرفة وهدفه الأسمى هو بلوغ ذُرى البِشْر والحُبُور بغض النظر عن شَرَف الوسائل التي تصل به إلى نهاية أَرَبه أو وضاعتها، زد على

ذلك أنَّ شاعرنا يرغب عن الدنيا وما فيها ولا يبالي بتَصَرُّم حَبْل حياته واستيفاء أنفاسه إنْ لم يَنَلْ إحدى الخلال الثلاث التي ينشرح لها صدره، فكأنهما جناحانِ وذيل يسمون به إلى قمم الغِبْطَة السُّرور.

وتتشابه فلسفة بِشْر بن أبي خازم وفِكر طرفة بن العبد _ إلى حد ما_ أليس هو مَنْ يقول: (حسن, 1960م, 118_119) (من الطويل)

أَصَوتَ مُنادٍ مِن رُمَيلَةَ تَسمَعُ ... بِغَولٍ وَدوني بَطنُ فَلجٍ فَلَعلَعُ
أَمِ اِستَحقَبَ الشَوقَ الفُؤادُ فَإِنَّني ... وَجَدِّكَ مَشعوفٌ بِرَملَةَ موجَعُ
يَظَلُّ إِذا حَلَّت بِأَكنافِ بيشَةٍ ... يَهيمُ بِها بَعدَ الكَرى وَيُفَزَّعُ
إِذا اختَلَجَت عَيني أَقولُ لَعَلَّها ... فَتاةُ بَني عَمروٍ بِها العَينُ تَلمَعُ
وَعِشتُ وَقَد أُفني طَريفي وَتالِدي ... قَتيلَ ثَلاثٍ بَينَهُنَّ أُضَرَّعُ
فَإِنَّ سِقاطَ الخَمرِ كانَت خَبالَهُ ... قَديماً فَلوموا شارِبَ الخَمرِ أَو دَعوا
وَحُبُّ القِداحِ لا يَزالُ مُنادِياً ... إِلَيها وَإِن كانَت بِلَيلٍ تَقَعقَعُ
نِغاءُ الحِسانِ المُرشِقاتِ كَأَنَّها ... جَآذِرُ مِن بَينِ الخُدُورُ تَطَلَّعُ

ليس من شك في أنَّ مناجاة الذات _ المونولوج_ متأتية من الوحدة النفسية التي يُقاسيها مَنْ لم يحظَ بصفيٍّ يُقاسمه وجعَ الفراق وألم غربة الروح الذي قد يُلم بِمَنْ حوله عصائب من رجاله وجَمّ مِنْ أخلّائه ؛ فيرتمي في أحضان الخيال لعلَّ دروبه تحتضن دروبَ أحبته فيرى طيفًا أو يسمع صوتًا يُغنيه عَمَّن سواه، ومِنْ ثَمَّ يُطْفِي نهرُ صوت الحبيب ضِرامَ الفؤاد المحترق؛ إذ إنَّ سماع صوت مَنْ نُحب قد يُحيي الذكريات الثاوية ويُنبت أزهار السرور في أرض الفراق اليباب، بيدَ أنَّ إدراك إيهام العقل إيانا وعدم وجود ما رسمه بفرشاة الخيال على لوحة الواقع سوف يصيّرنا كَمَتَّل الذي استيقظ مِنْ حُلْمٍ بَهيج فتَمَنّى أنْ يكون هذا الحُلْم حياته التي يحياها حتى انقضاء أجله، وهذا ما تاقَ إليه شاعرنا الذي رغبَ عقله في انتزاع بصيص سعادة يضيء بهِ غسق الفراق؛ فَتَوسَّل بسماع صوتها تارة وأُخرى باضطراب عينه الذي يَشي بتوقع قدوم أنيسة نفسه، ومِنْ ثَمَّ شرع في تبيان أُسس استبشاره وشَرْح صدره، والنِّعَم التي يحرص لأجلها على حياته، وينفق ما ورَثه وما جمعه مِنْ أموال في سُبلها، مبتدئًا بذكر المُدام وما تُشعره به مِنْ فتور واسترخاء قد يُمضي الهمَّ عند احتضاره أو يحد منه، وبعد ذلك انتقل مِنْ واهب الارتياح الملموس إلى مانح الإجذال المسموع المتأتي مِنْ سماع ضرب قِداح المَيْسر(*) (يُنظر: اليعقوبي، ٢٠١٠م، ١/ ٣١٢_٣١٥)، والظفر بالقِدْح المُعَلَّى، والأخذ بأطراف الأحاديث بينه وَالمِلاح النُّجُل، فهو يَرنو إلى العين الحوراء ويسمع غزل الحِسان النفيس الذي يخرج مِنَ الخدور كما تخرج اللَّآلئ مِنَ الأصداف، وهذا ما يبيع مِنْ أجله الدنيا بزينتها وزبرجها وما فيها.

وقد شاكَلَ عُبَيْدُ بن عبد العزَّى السَّلاميُّ فلسفةَ شعرائنا الثلاثة؛ فاستمع له حين يقول: (ابن المبارك، ١٩٩٩م، ٨/ ٢٨٤_ ٢٨٥) (من الطويل)

وَما العَيشُ إِلّا في ثَلاثٍ هي المُنى ... فَمَن نالَها مِنْ بَعدُ لا يَتخوَّفُ
صِحابَةُ فِتيانٍ عَلى ناعِجيَّةٍ ... مناسِمُها بالأَمعزِ المَحلِ ترعُفُ
وَكأسٌ بأَيدي الساقيينِ رَويَّةٌ ... يُمِدانِ راوُوقَيهما حين تُنزَفُ

وَربَّـةُ خِـدرٍ يَـنفُـح المِـسكَ جَيبُها ... تَـضَـوَّعُ رَيّـاهـا بـه حـينَ تَـصدِفُ

إذا سُلِبَت فَوقَ الحَشيّاتِ أَشرَقَت ... كَما أَشرقَ الدِعصَ الهِجانُ المُصَيَّفُ

يُحَبِّذُ بعضُنا أشياءً فيمنحها المحل الأرفع ويجعلها تفوق ما سواها مِنْ حوائج دنياه ومناها، وهذا التفضيل يختلف من إنسان إلى آخر؛ فقد يُقدِّم أحدهم ما يؤخره أترابه وقد يحدث ما هو في خِلاف ذلك، ولِذا رجح في عين شاعرنا ما أخره امرؤ القيس وطرفة ولم يعبأ به بِشْر؛ فهو يرى أنَّ المجد والتميز عن النظراء يتأتَّى مِنَ النَّجدة والفتوة ومرافقة فتيان تطمح نفوسُهم إلى خَطِيرِ المساعي وسَنِيّ المراتب، ممتطين نوقًا تُشاطر راكبيها همةً وإقدامًا؛ مما يجعل ذكره وأصحابه يسافر على الأفواه ويسير في الآفاق، وهذا انتشاء تطول مدته؛ إذ يتجدد كلّما أثنى أحدهم على مآثره وحميد فِعاله وحُسن بلائه، وهذا التجدد يُلبسه ثوبًا من الفخر مِنَ العسير بمكان تجريده منه، في حين لا تهبه السُّلافَةُ _ على الرغم من قدسيتها آنذاك_ هذا الشعور المُبهج؛ فلا طاقةَ لها بتجاوز التأثير الداخلي أو استمالة مشاعر الآخرين والتحكم بها، وتبعًا لذلك وضعها شاعرنا في الرُّتبة الثانية مِنْ أوطاره المنشودة، بَجِحًا بذكر الصَّهباء التي ينهلها من كأس مُلِئ خمرًا كُلَّما نَفَدَ ما فيه أسعَفَه الساقي بما في مصفاته _ النَّاجُود_ مِنْ خمر مُشَعْشَع يأسو كُلُومَهُ النفسية، وهذا الأمر يتساوق وَفلسفة أبيقور؛ فهو يرى " أنَّ الخير هو أنْ نكون في حالة طيبة، حالة خالية مِنَ الألم العقلي والجسدي" (Sherman, 2017, 47)، وعلى غرار شعرائنا الثلاثة الآنفي الذكر كانت الغادة الحسناء نهاية أرَب عُبَيْد ومِسك ختام أمنياته وأُسّ أهرام إجذاله وحُبُوره؛ إذ اختصها ببيتين فَصَّل فيهما القولَ في مفاتنها التي تَمْلِكُ الحَوَاسَّ طَرَبًا، فهي مُمَنَّعَة مُنَعَّمَة مُصانة عن الامتهان، إنْ لَمْ يَنَلْ منها الرائي حديثًا شَيَّقًا أنْشَقَتْهُ عطرًا يُحاكي طيبَ عَرْفِ العُود، فضلًا عن أنَّها تضيء وجهَ شاعرنا وما حوله كلّما جرَّدَها مِنْ ثيابها مثلما تضيء ناقةٌ بيضاءُ مغتسلة بماء المطر تلّا رمليًا دانيًا.

ومهما يكن مِنْ أمر فإنَّ عُبَيْد قد أطَّدَ أركانَ جنة دنياه ودعائمها بأُمنياته الثلاث التي إنْ ظَفَرَ بها _ فيما يرى_ دخل مدينة السعادة وغَلَّقَ أبوابها، وإنْ صَفِرَتْ يَدُهُ منها رَغِبَ عن الحياة وما فيها.

الخاتمة

بعد تفصيل القول في الفِكر الجاهلي المضارع لفلسفة أبيقور؛ سوف نورد جملة من النتائج التي توصلت إليها دراستنا فيما يأتي:

١- أظهرت الدراسة أنَّ هناك تقاربا فكريا مباشرا أو غير مباشر بين فلسفة شعراء الجاهلية والفلسفة الأبيقورية.

٢- وَسَّع شعراء الجاهلية مفاهيم السعادة لتشمل دعائم أُخَرْ تتناسب وبيئتهم وثقافتهم، كَمَثَّل الفتوة وإغاثة الملهوف وقيادة الحروب لما تحمله من طابع بطولي يتماشى مع الأعراف والقيم القبلية إذ ذاك.

٣- كانت فلسفة شعراء بحثنا فلسفة حياتية عفوية، دون سعي حثيث منهم لإرساء قواعد ومبادئ فلسفية.

٤- تساوق شعراؤنا وفلسفة أبيقور الساعية وراء تمجيد المُتَع الحسية والدعوة إلى بذل المرء قصارى جهده ابتغاء إسعاد نفسه.

٥- عمد شعراؤنا إلى العَبِّ من مُتع الحياة الدنيا رغبة في التكيف مع الحياة التي اتسمت بالخشونة والصعوبة والاستمتاع باللحظة الحاضرة هربًا من الموت المُحدق الذي كان حاضرًا بقوة في بيئتهم الصحراوية.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير, علي بن محمد بن محمد, الكامل في التاريخ, تحقيق: د. عمر عبد السلام التدمري, ط1, دار الكتاب العربي، بيروت_ لبنان, 1997م.
- ابن المبارك, محمد بن محمد بن ميمون, منتهى الطلب من أشعار العرب, تحقيق: د. محمد نبيل طريفي, ط1, دار صادر, بيروت_ لبنان, 1999م.
- ابن قتيبة, الدينوري, عبد الله بن مسلم, الشعر والشعراء, دار الحديث، القاهرة, 2011م.
- الأصفهاني, أبو الفرج علي بن الحسين, الأغاني, ط3, تحقيق: د. إحسان عباس, دار صادر, بيروت_ لبنان, 2008م.
- البخاري, محمد بن إسماعيل, صحيح البخاري, تحقيق: د. مصطفى ديب البغا, ط5, دار ابن كثير, دار اليمامة, دمشق_ سوريا, 1993م.
- بدوي, عبد الرحمن, موسوعة الفلسفة, ط1, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت _ لبنان, 1984م.
- بوجلطية, فاطمة طاهر, تجليات المنهج الأسطوري في النقد العربي الحديث (الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري " علي البطل" نموذجا), رسالة ماجستير, جامعة حسيبة بن بو علي _ الجمهورية الجزائرية, كلية الآداب واللغات _ قسم اللغة العربية وآدابها, 2015م .
- التبريزي, يحيى بن علي, شرح ديوان الحماسة, دار القلم, بيروت_ لبنان, (د.ت).
- الجاحظ, البيان والتبيين, تحقيق: عبد السلام هارون, دار ومكتبة الهلال, بيروت_ لبنان, 2002م.
- حسن, عزة حسن, ديوان بشر بن أبي خازم, مديرية إحياء التراث القديم, دمشق_ سوريا, 1960م.
- الحموي, ياقوت بن عبد الله, معجم البلدان, ط2, دار صادر, بيروت_ لبنان, 1995م.
- الرضواني, محمود إبراهيم, ديوان الأعشى الكبير, تحقيق: د. محمود إبراهيم الرضواني, ط1, وزارة الثقافة والفنون والتراث, الدوحة_ قطر, 2010م.
- سعيد, أمين, شرح ديوان عنترة, المكتبة التجارية الكبرى, القاهرة_ مصر, (د.ت).
- سنده, عبد الله, ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري, ت : ط1, دار المعرفة, بيروت _ لبنان, 2006م .
- شيخو, لويس, النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية, مطبعة الآباء اليسوعيين, بيروت _ لبنان,(د . ت) .
- صادر, كارين, ديوان المُرَقِّشَينِ, تحقيق: كارين صادر, ط1, دار صادر, بيروت_ لبنان, 1998م.
- صقر, السيد أحمد, شرح ديوان علقمة الفحل, ط1, المطبعة المحمودية بالقاهرة, القاهرة_ مصر, 1935م.
- طرابيشي, جورج, معجم الفلاسفة, ط 3, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت _ لبنان, 2006م .

- عرعور, علي, الأخلاق الأبيقورية وأثرها في الفكر الأخلاقي المعاصر, رسالة ماجستير, جامعة الجزائر _ الجمهورية الجزائرية, كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية _ قسم الفلسفة, 2005م .
- العسكري, الحسن بن عبد الله بن سهل, الأوائل, ط1, دار البشير, طنطا_ مصر, 1987م.
- عنيات, عبد الكريم, قراءة نيتشه للفلسفة اليونانية, رسالة ماجستير, جامعة منتوري _ الجمهورية الجزائرية, كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية, 2010م .
- عويضة, كامل محمد محمد, أبيقور مؤسس المدرسة الأبيقورية, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت _ لبنان, 1994م .
- فرويد, سيجموند, ما فوق مبدأ اللذة, ترجمة: إسحق رمزي, دار المعارف, القاهرة _ مصر, 1952م .
- فيدوح, عبد القادر, القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد, ط1, الأيام للصحافة والنشر والتوزيع, المنامة_ البحرين, 1998م .
- اللائرتي, ديوجينيس, حياة مشاهير الفلاسفة, ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام, ط1, المركز القومي للترجمة, القاهرة _ مصر, 2014م .
- المصطاوي, عبد الرحمن, ديوان امرِئ القيس, ط 2, دار المعرفة, بيروت _ لبنان, 2004م .
- المعري, أبو العلاء أحمد بن عبد الله, اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي, تحقيق: محمد سعيد المولوي, ط1, مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية, 2008م.
- المعيبد, محمد جبار, ديوان عدي بن زيد العبادي, دار الجمهورية للنشر والطباعة, بغداد _ العراق, 1965م .
- ناصر الدين, مهدي محمد, ديوان طَرَفَة بن العَبْد, ط3, دار الكتب العلمية, 2002م .
- اليعقوبي, أحمد بن جعفر بن وهب, تاريخ اليعقوبي, ط1, شركة الأعلمي للمطبوعات, بيروت_ لبنان, 2010م.

المجلات والصحف والدوريات

- القرشي, نصير خلف عباس, التسويغ في معلقة امرئ القيس, مجلة للعلوم الإنسانية, جامعة واسط, مج 19, ع 54, 28/ 4/ 2023م https://doi.org/10.31185/.Vol19.Iss54.381

المراجع الإنجليزية

- O'Keefe,tim, Epicureanism, Routledge, 2 Park Square, Milton Park, Abingdon, New York_USA, 2014.
- Sherman, Toby, Epicureanism: An Ancient Guide to Modern Wellbeing, thesis for the degree of Master, University of Exeter, 2017.

Index of sources and references

• The Holy Quran.
•Ibn al-Athir, Ali bin Muhammad bin Muhammad, Al-Kamil fi al-Tarikh, edited by: Dr. Omar Abdul Salam al-Tadmuri, 1st ed., Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1997.
•Ibn al-Mubarak, Muhammad bin Muhammad bin Maimun, Muntaha al-Talab min Ash'ar al-Arab, edited by: Dr. Muhammad Nabil Tarefi, 1st ed., Dar Sadir, Beirut, Lebanon, 1999.
•Ibn Qutaybah, al-Dinuri, Abdullah bin Muslim, Poetry and Poets, Dar al-Hadith, Cairo, 2011.
•al-Isfahani, Abu al-Faraj Ali bin al-Husayn, al-Aghani, 3rd ed., edited by: Dr. Ihsan Abbas, Dar Sadir, Beirut, Lebanon, 2008.
•al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, Sahih al-Bukhari, edited by: Dr. Mustafa Dib al-Bugha, 5th ed., Dar Ibn Kathir, Dar al-Yamamah, Damascus, Syria, 1993.
•Badawi, Abdul Rahman, Encyclopedia of Philosophy, 1st ed., Arab Institution for Studies and Publishing, Beirut, Lebanon, 1984.
•Boujlatia, Fatima Taher, Manifestations of the Mythological Approach in Modern Arabic Criticism (The Image in Arabic Poetry until the End of the Second Century AH "Ali the Hero" as a Model), Master's Thesis, Hassiba Ben Bouali University, Algerian Republic, Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature, 2015.
•Al-Tabrizi, Yahya bin Ali, Explanation of the Diwan of Al-Hamasa, Dar Al-Qalam, Beirut, Lebanon, (no date.(
•Al-Jahiz, Al-Bayan and Al-Tabyeen, edited by: Abdul Salam Haroun, Dar and Library of Al-Hilal, Beirut, Lebanon, 2002.
•Hassan, Ezzat Hassan, Diwan of Bishr bin Abi Khazim, Directorate of Revival of Ancient Heritage, Damascus, Syria, 1960.
•Al-Hamawi, Yaqut bin Abdullah, Dictionary of Countries, 2nd ed., Dar Sadir, Beirut, Lebanon, 1995.
•Al-Radwani, Mahmoud Ibrahim, Diwan Al-A'sha Al-Kabir, edited by: Dr. Mahmoud Ibrahim Al-Radwani, 1st ed., Ministry of Culture, Arts and Heritage, Doha, Qatar, 2010.
•Saeed, Amin, Explanation of Antarah's Diwan, Great Commercial Library, Cairo, Egypt, (n.d.(.
•Sanda, Abdullah, Diwan Hassan bin Thabit Al-Ansari, t: 1st ed., Dar Al-Ma'rifa, Beirut, Lebanon, 2006.
•Sheikho, Louis, Christianity and its Literature among the Arabs of the Pre-Islamic Era, Jesuit Fathers Press, Beirut, Lebanon, (n.d.(.
•Sader, Karen, Diwan Al-Murqishin, edited by: Karen Sader, 1st ed., Dar Sader, Beirut, Lebanon, 1998.
•Saqr, Al-Sayed Ahmed, Explanation of Diwan Alqamah Al-Fahl, 1st ed., Al-Mahmoudia Press in Cairo, Cairo, Egypt, 1935.

•Tarabishi, George, Dictionary of Philosophers, 3rd ed., Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 2006.
•Arour, Ali, Epicurean Ethics and Their Impact on Contemporary Moral Thought, Master's Thesis, University of Algiers, Republic of Algeria, Faculty of Social and Human Sciences, Department of Philosophy, 2005.
•Al-Askari, Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl, Al-Awa'il, 1st ed., Dar Al-Basheer, Tanta, Egypt, 1987.
•Aniyat, Abdul Karim, Nietzsche's Reading of Greek Philosophy, Master's Thesis, University of Mentouri, Republic of Algeria, Faculty of Humanities and Social Sciences, 2010.
•Awida, Kamel Muhammad Muhammad, Epicurus, Founder of the Epicurean School, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1994.
•Freud, Sigmund, Beyond the Pleasure Principle, Translated by: Ishaq Ramzi, Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt, 1952.
•Fidouh, Abdul Qader, Intellectual and Aesthetic Values in the Poetry of Tarafa bin Al-Abd, 1st ed., Al-Ayyam for Press, Publishing and Distribution, Manama, Bahrain, 1998.
•Laerte, Diogenes, Lives of Famous Philosophers, translated by: Imam Abdul Fattah Imam, 1st ed., National Center for Translation, Cairo, Egypt, 2014.
•Al-Mustawy, Abdul Rahman, Diwan Imru' Al-Qais, 2nd ed., Dar Al-Ma'rifah, Beirut, Lebanon, 2004.
•Al-Ma'arri, Abu Al-Ala Ahmad bin Abdullah, Al-Lame' Al-Azizi, Explanation of the Diwan of Al-Mutanabbi, edited by: Muhammad Saeed Al-Mawlawi, 1st ed., King Faisal Center for Research and Islamic Studies, 2008.
•Al-Mu'aybad, Muhammad Jabbar, Diwan of Adi bin Zaid Al-Abbadi, Dar Al-Jumhuriyah for Publishing and Printing, Baghdad, Iraq, 1965.
•Nasser Al-Din, Mahdi Muhammad, Diwan of Tarafa Bin Al-Abd, 3rd ed., Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 2002.
• Al-Yaqubi, Ahmad Bin Jaafar Bin Wahb, History of Al-Yaqubi, 1st ed., Al-Aalami Publications Company, Beirut, Lebanon, 2010.

Magazines, Newspapers and Periodicals

• Al-Qurashi, Naseer Khalaf Abbas, Rationalization in the Mu'allaqat of Imru' al-Qais, Wasit Journal of Humanities, University of Wasit, Vol. 19, No. 54, 4/28/2023 https://doi.org/10.31185/.Vol19.Iss54.381

English References

- O'Keefe,tim, Epicureanism, Routledge, 2 Park Square, Milton Park, Abingdon, New York_USA, 2014.
- Sherman, Toby, Epicureanism: An Ancient Guide to Modern Wellbeing, thesis for the degree of Master, University of Exeter, 2017.